الموشـــــح

للمرزباني

نقد الشعر من العلوم القديمة فى تاريخ الأدب العربى من حيث معناه العـــام . فقد كانت تجرى المشاحنات ، والمناظرات فى العصر الأموى بشأن من هو أشـــعر الشعراء ؟ وقد كان هذا الجدل يقضى أحياناً إلى الخصام .

أما التأليف فى " نقد الشعر " فإن أول من أقدم عليه " محمد بن سلام الجمحى" المتوفى سنة " ٢٣٢ هـ) وذلك فى كتابه " طبقات فحول الشـــعراء فـــى الجاهليـــة والإسلام " ثم يليه ابن قضبة الدينوى وذلك فى كتابه الشهير " الشعر والشعراء " ، ثم أبو العباس ثعلب المتوفى سنة " ٢٩١ هـ " فى كتابه " قواعد الشعر " ، وقد تحدث فيه عن الشعر وأركانه ، وفنونه وأقسامه ، وألوانه البيانية ، وأسلوبه ، وخصائصه .

ولقدامة بن جعفر كتاب سماه " نقد لبشعر " فهذا الكتاب أفرده ومؤلفه " قدامة بن جعفر " فى النقد وجعاه خاصاً به . أى ينقد الشعر . ولابـــن طباطبـــا العلـــوى المتوفى سنة " ٣٢٢ هـ " كتاب له طابعه الاص ، ومنهجه الفذ سماه " عيار الشعر " وهذا الكتاب له طابعه الخاص ، كما أومأنا إلى ذلك آنفاً ، والذى جعل للكتاب طابعاً خاصاً هو أن صاحبه شاعر ، يقول الشعر ، ويعانيه . فهو يعرض تجربته الشعرية فى صدق ووضوح . ويتحدث فيما عما يتصـــل بـــالطبع ، وبالشـــعر وصـــياغته ، وألفاظه ومعانيه ، وبناء القصيدة واشتراك الشعراء فى المعانى .

والحسن بن بشر الأمدى المتوفى سنة " ٣٧٠ هـ " وقـــد وضـــع كتابـــه فـــى " الموازنة بين أبى تمام والبحترى " ويعد الكتاب من النقد الخاص ، حيث ينتظم على قواعد عامة . والسعر فى استعراضنا لهذه المصادر النقدية هو أننا نكتب عن واحـــد من كتب النقد الأدبى والذى يعد من المصادر النقدية المهمة ، والكتاب يحوى أثـــراً من هذه الكتب التى أومأنا إليها آنِفاً ودليل ذلك أنك إذا طالعت كتـــاب " الموشـــح " للمرزبانى ، نَدَرَ أن تجد صفحة من الكتاب لا يومئ فيها المؤلف إلى رأى من آراء هؤلاء الناقدين .

أما الذين ألفوا من بعده فى " النقد " من أمثال " ابن رشيق " فى كتابه "العمدة " والثعالبى فى كتابه " شيمة الدهر " ، والجرجانى صاحب " الوساطة بين المتنبى وخصومه " فقد رأينا أن هؤلاء جميعاً تأثروا بمن سيقودهم من النقاد الأدباء والعلماء فهى سلسلة مترابطة متصلة الحلقات . وإن لكل واحد من هؤلاء النقاد الأدباء العلماء حلقة تخصه ، ومنهج يَعْنيه ، ومَيزة ينفرد بها .

بعد استعراضنا لهذه النبذة التاريخية فى النقد الأدبى أن هناك طائفتين من " نقد الأدب العربى " عاشوا جنباً إلى جنب منذ أواخر القرن الأول الهجرى .

الأدباء ، واللغويون ، والنحويون .

وأما الأدباء فهم : الشعراء ، والرؤساء ، والخلفاء . وكان نقد هؤلاء نقداً فِطرياً يقوم فى الحكم على النص الأدبى على الفطرة والطبع والسليقة .

وأما اللغويون والنحويون فأولئك صاغتهم الحياة الإسلامية الجديدة ، وهيأت لهم أسباب البحث المنشعب فكانوا بحق أمزجة خاصة ، وذهنية خاصة فى تاريخ النقد الأدبى .

وكان نقد هؤلاء للعمل الأدبى مُراداً به العلم ، وتزداد به خدمة الفن الشعرى ، وتاريخ الأدب ، ونجده مخلصاً صادقاً . حيث لا عصبية ولا هوى، ولا تأثراً بأحد . ولا انحرافاً عن الحق والصدق فى الحكم على النص الأدبى . وتلك هى الأمانة العلمية المطلوبة حتى يجئ الحكم على العمل الأدبى حكماً مجرداً عن الفرص والهوى الشخصى . وبذلك يكون عملاً علمياً جاداً ومخلصاً ، وبذلك يُفيد العلماء والأدباء والنقاد منه .

وذلك النقد ، أو العمل النقدى يكون مبنياً على أسس معروفة ، ومعلومة ، وهى التجرد عن الهوى الشخصى والشعور الهادئ المتزن ، والتحليل للنص الأدبى مع سَوْق الدليل الحاسة ، والبراهين الساطعة ، مع قرع الحجة بالحجة ، ومواجهة الدليل بالدليل . وذكر الأسباب الموجه لاستحسان النص ، أو استهجانه .

وهذا اللون من النقد منشعب وفسيح الأرجاء ، حيث إنه يمس الأداة العربية كلها ، ويقوم بدراسة وتحليل النص الأدبى دراسة واعية ومتأنية مع جميع النواحى ضبطاً ، وبنية ، وترتيباً ، وفناً .

ومن هذا النقد ما يقوم على الأصول الفنية التى قررت فى اللغة وفى النحو ، وفى العروض ، ومنه ما يقوم على الأصول الفنية التى قررت فى تقدير الأدب . وأما النحويون فقد كانوا ينقدون فى الأدب صياغته التى لا تتمشى مع السبك العربى ناسين جماله ، ورجاله ، وعناصره الفنية . وظُلم بهم حين نجردهم وتحليهم من الذوق الأدبى ، وتقصرهم على نقد الصور والأشكال . حيث كان منهم العالم بالعربية ، ومنهم من روى الشعر والأخبار .

فها هو ذا " عنبة الفيل " من الذين رووا شعر " جرير والفرزدق " هو و " ميمون الأقرن " و " عيسى بن عمرو " و " ابن أبة إسحاق " وهو من أئمة العربية الذين يرجع إليهم فى المشكلات ، وفى النقد الأدبى وفى الموازنة بين الشعراء .

فأما أبو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، فلهما فى نقد الأدب آراء حسنة ولهما فيه أثر جليل ، وهما يعدان فى النحويين كما يعدان كذلك من بين اللغويين الذين وطدوا النقد الأدبى ، ونظموا بحوثه ، واستنبطوا مقاييسه .

واللغويون طبقات ، ومدارس . وهم أيضاً : بصريون وكوفيون . فمن البصريين : " خلف الأحمر " وأبو زيد الأنصارى والأصمعى ، ومحمد بن سلام الجمحى . ومن الكوفيين : المفضل الضبى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى وحماد الرّاوية ، وإن كان الرّاوية معدود فى الإخباريين لا العلماء .

من أجل ذلك كان اللغويون يعدون نقد الشعر صناعة ، أو ثقافة أو شيئاً قيباً من ذلك . ويعدون أنفسهم أمس الناس به هم والبدويين . وكذلك أفادوا النقد الأدبى من ناحيتين :

الناحية الأولى : أنهم جمعوا كل ما قاله الأدباء ، قبلهم فى الشعر والشعراء ، وكان لهم الفضل فى رواية الخصومات التى قامت حول كبار الشعراء ، وذكر الحجج التى يوردها أنصار كل شاعر فى تفضيله .

الناحية الثانية : أن لهم آراء قيمة فى النقد وأحكاماً على الشعراء . بل إنهم تعمقوا فى فهم الشعر وتذوقه ، وقى معرفة مميزات الشعراء . ووقفوا على ما لكل شاعر من خصائص ولاسيما كبار الشعراء . ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره " أبو عمرو بن العلاء " فى شعر ذى الرمة فهو يقول فيه : " إنما شعره فقط عروس تضمحل عَمّا قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمّ فى أول شمها ، ثم تعود إلى أرواح الأبصار " وأبو عمرو بن العلاء ، يشبه شعر الشاعر ذى الرمة بنقط العروس التى تذهب بالفل ، وبأبعار الظباء التى لها رائحة مقبولة من أثر النبت الطيب الذى تأكله ، ثم لا تلبث أن ترول .

يريد أن يقول : إنه شعر عذب حين تسمعه فإذا ما كررت إنشاده ضعف ، يعنى أنه غير خصب ، ولا قوى ولا عميق الأثر فى النفس ، وإنما هو كالشئ البراق يعطى دفعة واحدة كل ما له من رواء . ومنها ما كان الأصمعى يقوله : "

زهير ، والحطيئة " وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين .

وما كان يقوله " أبو عبيدة " " طفيل ، والنابغة الجندى وأبو داود الإيادى " أعلم العرب بالخليل ، وأوصفهم لها فقد عرف " أبو عبيدة " أنه هؤلاء الثلاثة أحسن من قال الشعر فى غرض معين ، وهو وصف الخيل .

فلم يكن كل هم اللغويين ، والنحويين ، منصباً على نقد الشعر من حيث ضبطه ، أو بنيته ، أو أعريضه ، وقوافيه او إعرابه ، أو فساد معناه ، بل اتجهوا إلى ضروب النقد فرأينا لهم نقداً يتصل بضبط الشاعر ، ومعرفة بنية الكلمات ونقداً يتصل بالنحو والإعراب ، وآخر يتصل بفنون القوافى والأعاريض ، ورابعاً بمس عناصر الجمال فى الأدب ، ومكان الروعة فيه [١٧٩] .

١ـ الموشـــــح :

كتاب الموشح من كتب النقد الأدبى التى حوت مآخذ العلماء على الشعراء ، فهو من النوع الثانى الذى شرحنا منهجه فى النقد . فيقول فى مقدمته إن " وأودعت فى هذا الكتاب ما سهل وجوده ، وأمكن جمعه وقرب متناوله ، من ذكر عيوب الشعراء التى نبه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها ، من اللحن ، والسناد ، والإبطاء ، والإقواء ، والإكفاء ، والتضمين ، والكسر ، والإحالة ، والتناقص ، واختلاف المعنى اللفظى ، وهلهلة النسج وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ، وحديثهم فى أشعارهم خاصة .

وقد قسم الكتاب إلى أبواب ، وابتدأه بباب أبان فيه " عن حال السناد والإبطاء والإقواء ، والإكفاء " .

---

١٧٩ ـ تاريخ الأدب العربى لكاركل بروكلمان .تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى إلى القرن الرابع الهجرى للمرحوم الأستاذ أحمد طه إبراهيم .

الباب الثاني : وهو " باب الشعراء الجاهليون ، والشعراء الإسلاميون و " الشعراء المحدثون " .

الباب الثالث : والباب الثالث هو خاتمة الكتاب . ذكر فى هذا الباب ما روى من ذم ردئ الشعر وسفسافه والمضطرب منه . وهو أى المرزبانى فى موشحه ينقل عن العلماء ، آرائهم فى الشعر ، وكثيراً ما يكرر المآخذ بروايات أخرى عن غير من روى عنهم .

وعمل المرزبانى فى موشحه لديك مقصوراً على نقل هذه الروايات ، بل إنه اختار هذه المآخذ ، ورتبها على حسب الشعراء ، ورتب الشعراء على حسب عصورهم كما أنه يعقب كثيراً على هذه المآخذ وتلك الروايات تعقيب الأديب الأريب والذى له إلفة بدروب الشعر وأضربه . فيوثقها ، أو يعللها، أو يصلح شيئاً فيها ، ويبدأ ذلك دائماً بقوله : " قال أبو عبيد الله المرزبانى : " وهى تعقيبات تشهد بعلو كعبه فى الأدب والنقد ، وإطلاعه الواسع على كتب اللغة والنحو والأدب والنقد إطلاع خبير بهذه الفنون . والكتاب موصول الأجزاء متلاحم النسج يأخذ بعضه بحجز بعض ، فهو كما يراه مؤلفه : رسالة جمعت مآخذ العلماء على الشعراء ، واتصل الكلام فيها على نظام محكم ، وتركيب سليم . ومثل هذا المصدر الأدبى " الموشح يرى لدى قارئه الذوق الأدبى الرفيع ، والإحساس المرهف ، كما يربى لديه حساسة نقدية مبنية على الذوق والأصول العلمية للنقد الأدبى كما يشحذ القريحة ، ويهدى القارئ إلى مواطن الصواب والخطأ فى القول ، فهو لا يسرد أحكاماً ولا ينقد جزافاً بل إنه يوضح ، ويعلل ، ويشرح ، مع إرثائه أسساً سليمة قويمة للنقد الأدبى .

شيوخـــــه :

وقد روى عن أبى القاسم البنوى ، وأبى حامد محمد بن هارون الحضرمى ، وأحمد بن سليمان الطوسى ، وأبى بكر بن دريد وأبى عبد الله نفطوية ، وأبى بكر

بن الأبنبارى . ومن فى طبقتهم . كما روى عنه : " القاضيان " أبو عبد الله الصيمرى وأبى القاسم التنوخى ومحمد بن المظفر الدقاق . وغيرهم [١٨٠].

مؤلفاته :

ولأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى الميوسنى كثرة كاثرة من المؤلفات نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر وهى : -[١٨١]

١- أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم . أولهم " بشار بن برد ، وآخرهم : ابن المعتز .

٢- أخبار أ بى تمام .

٣- أخبار أبى مسلم الخرسانى صاحب الدعوة .

٤- أخبار البرامكة .

٥- أخبار عبد الصمد بن المعزل الشاعر .

٦- أشعار الحسن .

٧- أشعار النساء .

٨- كتاب الأزمنة .

٩- كتاب الأوائل فى أخبار الفرس القدماء .

١٠- كتاب الشعوب والشيب .

١١- كتاب المغازى .

١٢- المستطرف فى الحمقى والنوادر .

١٣- المفصل فى البيان والفصاحة .

١٤- المقتبس فى أخبار النحويين والبصريين ، وأول ن تكلم فى النحو وأخبار الشعراء والرواة من أهل البصرة والكوفة .

١٥- المفيد فى أخبار الشعراء وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام .

---

١٨٠ - تاريخ بغداد .
١٨١ - معجم الأدباء .

وفاتـــــــه :

وتوفى رحمه الله ليلة الجمعة ، وقيل توفى المرزبانى فى يوم الجمعة ، الثانى من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . وفى معجم الأدباء كانت وفاته سنة " ثمـــان وثلاثمائة " ويقول الخطيب : " توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . ودفن رحمـــه الله تعالى بداره بشارع " عمرو الرومى " فى الجانب الشرقى ببغداد [١٨٢].

نماذج من الكتاب

أولاً : البيان عن السناد ، والإقواء ، والإكفاء ، والإبطاء .

ثانياً : الشعراء الجاهليون من أمثال امرؤ القيس والأعشى ، وزهير ، وطرفة بـــن العبد البكرى .... إلخ .

ثالثاً : الشعراء الإسلاميون كحسان بن ثابت الأنصارى والنابغة الجندى ، وغيرهم . ثم نراه يذكر فى باب مستقل " من عيوب الشعر " –[١٨٣]

رابعا :– الشعراء المحدثون . كبشار ، ومروان بن أبى حفصة وأبو العتاهية ، وأبـــو نواس ، وغيرهم .

هذا هو كتاب " الموشح " للمرزبانى والذى قام بتحقيقـــه الأســـتاذ المرحـــوم " على محمد البيجاوى " وطبع بدار الفكر العربى بالقاهرة فى ربيـــع الثـــانى ســـنة ١٣٨٥ هـ أغسطس سنة ١٩٦٥م .

---

١٨٢ - معجم الأدباء لياقوت الحموى .
١٨٣ - تاريخ بغداد للخطيب .